الباب الثانى

# الدعاية السياسية

# فـى العصر الأمـوى

## مفهومها وفلسفتها ـ نشأتها وتطورها

---

الفصل الثالث :- مفهوم الدعاية السياسية وفلسفتها فى العصر الأموى

الفصل الرابع :- نشأتها وتطورها .

# الفصل الثالث

# مفهوم الدعاية السياسية وفلسفتها

## فى العصر الأموى

---

### مفهوم الدعاية السياسية للعصر الأموى :

تراوحت وجهات نظر الباحثين عند تحديدهم لمفهوم الدعاية وختلفت هذه المفاهيم وفقا لوجهات نظرهم وآرائهم وتجاهاتهم وطريقة ممارستهم للدعاية ووفقا لطبيعة الظروف السياسية والأقتصادية للبيئة التى تمارس فيها وللعصر الذى تعكسه .

فمفهوم الدعاية قبل الحرب العالمية الأولى يختلف عن مفهومها بعدها . كانت تطلق قبل الحرب العالمية الأولى على الدعاية الدينية دون اختلاف بين المجتمعات الشرقية أو الغربية فى ذلك . والدعاية بهذا المعنى تعنى نشر الحق وترويجه اعتمادا على المنطق وكانت لذلك ترفض الكذب والتشويه لأنها عبارة عن حديث موجه من عقيدة معينة الى من يمكن أن يؤمن بها بالفعل . ومن ثم كانت أكبر من عملية الاخبار أو الإعلام لأنها تفترض أولا وجود علاقة ولاء قائمة أو ممكنة .

ومن الناحية التاريخية فإن كلمة دعاية لدى المسلمين اشتملت على مفهومين : مفهوم دينى كما أشرنا سابقا وهو مرادف لكلمة الدعوة . ومفهوم سياسى يتضمن عملية الإقناع السياسى ويختلف فى طبيعته عن الإعلام السياسى . ويمثله النشاط الإعلامى السياسى الذى عرفه المسلمون على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وفى عهد دولة الخلافة الراشدة والذى استهدف تشكيل الرأى العام وإقناعه سياسيا ، أما النشاط الدعائى فهوالذى يستهدف الترويج

لفكرة أو عقيدة أو مذهب أو يدحض كل ذلك عن طريق التأثير فى عواطف الفرد أو الجماعة واستهوائها بقدر المستطاع . وهذا النشاط هو الذى عرفه المسلمون منذ أيام الفتنة على يد عبد الله بن سبأ فى آخر عهد عثمان بن عفان رضوان الله عليه . ويسمى هذا النشاط بالدعاية السياسية .

ولتحديد مفهوم الدعاية السياسية فى العصر الأموى يجب أولا أن نتعرف على مفهوم الدعاية السياسية فى الوقت الحاضر . وقد سبق لنا تحديده فى الجزء الأول من هذه الدراسة .

لتوضيح مفهوم الدعاية فى العصر الأموى يجب أن نفرق بين نوعين من النشاط الإعلامى :-

النوع الأول :- يرتبط بمصلحة القائمين على هذا النشاط سواء كانوا فى السلطة أو خارجها ، يروجون لأفكارها ومبادئها بغرض التأثير فى اتجاهات الناس وآرائهم وسلوكهم وبحيث تأخذ الوجهة التى يحددها القائمون على هذا النشاط .

وقد ارتبط هذا النشاط الإعلامى خلال العصر الأموى بالنزاع السياسى حول السلطة وأشرف عليه ووجه أموره الحزب الأموى الحاكم بغرض تدعيم نفوذه وسلطانه والأحزاب المعارضة الأخرى بغرض الوصول إلى كرسى الحكم واقصاء الأمويين عنه . وتبلور هذا الصراع السياسى حول ما أسمى بمشكلة الخلافة أو الأمامة . ويسمى هذا النوع من النشاط الإعلامى " دعاية سياسية " .

أما النوع الثانى من النشاط فهو أكثر ارتباطا بالصالح العام ويقيم المجتمع الإسلامى ومبادئه .. ويسمى هذا النشاط " إعلام إسلامى " أو " دعوة " . وبينما يقتصر النشاط الأول على أفراد مخصوصين (١) هم الذين تسند إليهم السلطة السياسية ، أو أنصار ومؤيدى الأحزاب السياسية ، مهام الدعاية لهم ، نجد أن نشاط الإعلام الإسلامى كان مهمة جميع الأفراد على السواء ، لأنه مرتبط بالدعوة الإسلامية -مهمة كل فرد مسلم - (٢) طبقا لقوله تعالى " قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى" (٣) .

ولذلك وجدنا الأفراد الذين يتولون مهام الدعاية عندما يتعلق الأمر بالدعوة الإسلامية يصبحون جميعا صفا واحدا . والمتأمل لتاريخ الفتوحات الإسلامية في العصر الأموى يجد ذلك واضحا . فالجميع بغض النظر عن الانتماءات السياسية أخوة متحابون في الجيوش الإسلامية الزاحفة شرقا وغربا .

وحينما نبتعد بالإعلام عن النشاط السياسى لا نكاد نجد فرقا جوهريا بين الأنشطة الإعلامية للمجتمع الإسلامى بل لا نجد سوى إعلاما فقط أو دعوة فقط . والدعوة هنا تتسع لكافة أنماط النشاط الإعلامى إبتداء من الدعوة إلى الله عزوجل إلى الأخبار الصادق عن شئون الحياة المختلفة أو بما اصطلح على تسميته حديثا بالأعلام الإسلامى . وهو الإعلام(٢) الذى يعكس الروح والمبادئ والقيم الإسلامية فى كل ما يقدم من موضوعات . ولذلك كان لابد أن يبنى على الصدق وأن يزود رجل الإعلام فى نطاقه الجمهور بالأخبار الصادقة والمعلومات الصحيحة وأن يفسرها من وجهة نظر تخدم المصلحة العامة للمسلمين وبحيث يفهمونها على حقيقتها وفى نفس الوقت يترك لهم الحرية التامة فى فهم هذه المعلومات وإدراكها دون أية ضغوط من جانبه.

أما عندما نستهدف إستهواء الناس والتأثير على نفوسهم وعقولهم لأغراض خاصة فإن النشاط الإعلامى حينئذ يسمى دعاية . ولهذا إرتبطت نشأة الدعاية السياسية فى الإسلام بظهور المطامح الخاصة فى الخلافة وعلى وجه التحديد منذ الفتنة التى حدثت على عهد عثمان بن عفان رضوان الله عليه .

وعلى الرغم من ارتباط الدعاية السياسية فى الدولة الإسلامية بالمصالح والرغبات الخاصة إلا أن المتأمل لتاريخ هذه الفترة يلحظ أثر الإسلام واضحا جليا فى نفوس المسلمين فى ذلك الوقت . ولم يكن إسلامهم مجرد اتباع لتعاليم وإقامة للشعائر وحسب ، بل كان شعورا وأحاسيسا قوية تملأ كيان الفرد وتدفعه دفعا للتحمس للفكر الإسلامى والتعلق به والإخلاص له والتضحية بالنفس والنفيس فى سبيل تحقيقه.

ولما كانت الحقوق السياسية فى الإسلام مكفولة لجميع المسلمين وكان لكل شخص الحق فى المشاركة فى الأمور السياسية وأن يبدى رأيه فيها . وهو ما عبر عنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق بقوله حين ولى الخلافة " أيها الناس أنى وليت عليكم ولست بخيركم فإن كنت على حق فأعينونى وإن كنت على باطل فقومونى " . وقد حافظ المسلمون على هذه الحقوق وأخذوا يعبرون عن رأيهم فى مشكلة الخلافة وكل منهم يتعصب لشخص يرى أن مصلحة المسلمين تتحقق على يديه دون سواه ويدعو له ويقاتل فى سبيله ابتغاء مرضاة الله (٣) .. ولهذا تميزت الدعاية السياسية فى العصر الأموى بأن بواعثها فى حقيقتها دينية ولم تكن اشباعا لشهوة الحكم أو لرغبة فى التسلط .

وهذه الطبيعة الخاصة للدعاية السياسية فى العصر الأموى مرتبطة بمفهوم الخلافة أو الإمامة من حيث أنها كما يقول ابن خلدون " حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعى فى مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها .. إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشرع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة فهى فى الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم فى حراسة الدين وسياسة الدنيا به " (٤) .

ولهذا نجد معاوية عندما عهد على أن يعهد لأبنه يزيد بالخلافة يصعد المنبر ويدعو فى خطبة له فيقول " اللهم إن كنت إنما عهدت ليزيد لما رأيت من فضله فبلغه ما أملت وأعنه .. وإن كنت إنما حملنى حب الوالد لولده وأنه ليس لما صنعت به أهلا فاقبضه قبل أن يبلغ ذلك . وكانت حجته فى استخلافه يزيدا هى خوفه على المسلمين من الفتنة والاقتتال (٥) .

قال فى رسالة له إلى مروان بن الحكم والى المدينة "إنى كبرت سنى ودق عظمى وخشيت الاختلاف على الأمة من بعدى ورأيت أن أتخير لهم من يقوى بعدى "(٦) وهو نفس الشعور أيضا الذى دفع الحسن بن على رضوان الله عليها للتنازل عن الخلافة حينما وجد فى ذلك مصلحة المسلمين .. فالخلافة لذاتها لم تكن مطلبا له وإنما

كان الهدف الأساسى لجميع المتصارعين عليها هو ابتغاء العمل بكتاب الله وسنة نبيه وتحقيق مصلحة المسلمين .

ففى الحاكم عن جبير بن نفير قال : قلت للحسن : إن الناس يقولون أنك تريد الخلافة .. فقال : قد كان جماجم العرب فى يدى يحاربون من حاربت ويسالمون من سالمت فتركتها ابتغاء وجه الله وحقن دماء أمة محمد صلى الله عليه وسلم (٧) .

فالدعاية السياسية فى العصر الأموى إذن لم تكن لأغراض غير معروفة أو مشكوك فيها .. ولم تكن مجهولة المصدر .. ولم تستهدف السيطرة الكاملة على الأفراد وسوقهم سوقا .. ولم تكن ارضاء لشهوة الحكم فقط وإنما كانت لدعم التصورات السياسية للمسلمين فى قضية من أهم القضايا وهى قضية الخلافة .. ولمن تكون ؟ . وهل تقتصر على بنى هاشم أوأبناء على خاصة .

## فلسفة الدعاية السياسية فى العصر الأموى :

تنبع الفلسفة التى تقوم عليها الدعاية السياسية عادة من النظرية السياسية والاتصالية .. فلكل عصر ولكل مجتمع نوع من الإتصال الذى يناسبه ويلائم ظروفه ويتمشى مع أفكاره . ومن هنا كان الاتصال الإسلامى فى عصر صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم غيره فى العصر الأموى .. غيره فى العصر العباسى .. غيره فى العصر الحديث الذى نعيش فيه .

وقد جرى الإعلام فى كل بلد من البلاد الإسلامية أو الأوربية فى المجرى الذى اختاره له الحكام لهذا البلد(٨) . والإعلام أو الاتصال بالناس هو الوسيلة الوحيدة لإيجاد التفاهم بين الحاكم والمحكوم منذ أقدم العصور . وحاجة الحكام إلى هذا الاتصال أشد من حاجة المحكومين . غير أن شكل الحكومة عند الخلفاء الأمويين وعند العباسيين وسائر الحكومات الإسلامية التى ظهرت بعد ذلك إلى اليوم اختلف عن شكله على عصر الخلافة الراشدة . وبناء على ذلك وجب أن يكون للإعلام أو الإتصال فى حكومة الخلفاء صورة مخالفة للإعلام أو الإتصال فى العهد الأموى وفى سائر الحكومات الإسلامية التى جاءت بعد ذلك(٩) .

ولتحديد فلسفة الدعاية السياسية للأمويين وجب علينا أن نتعرف أولا على نظام الحكم على عهد الدولة الأموية وأن نشير قبل ذلك إلى نظام الحكم فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده لنتعرف على جوانب الاختلاف بينها والتى ترتبت عليها الثورات والحروب التى شهدتها المنطقة الإسلامية طوال العهد الأموى والتى جعلت للدعاية السياسية بالتالى دورا كبيرا فى تدعيم أركان الحكم الأموى تجاه أحزاب المعارضة وفى تدعيم أحزاب المعارضة أيضا تجاه الحزب الحاكم وفى القضاء على الحكم الأموى وعلى بعض أحزاب المعارضة أيضا .

## نظاك الحكم فى دولة المدينة :-

كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو الرئيس الأعلى للدولة الإسلامية وكان المسلمون على عهده فى شغل عن العصبية إلا فى القليل النادر .. فقد أصبحوا وحدة سياسية تصرف جهودها لحماية عقيدتها وصيانة حياتها . كما أن تعاليم الدين الجديدة صاغتهم على المحبة والتعاون والاخاء والمساواة .. ثم إن شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم طغت على نزعاتهم ونزواتهم فاستظلوا جميعا بظله واقتدوا بأفعاله وأقواله ووجدوا فيه الأب المحبوب المرهوب الذى يسوى بين بنيه ويعطف بعضهم وينسيهم ما سلف من شحناء وبغضاء.

ونظام الحكم على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كان تنفيذا لما جاء به الإسلام من مبادئ . فلجميع المسلمين فى دار الإسلام حقوقهم السياسية .. فقد بنى الإسلام الحكم على أساس الشورى .. ولهذا اعتد الرسول برأى الغير واعتز به وامتدح من يتمسك بهذا المبدأ. قال تعالى .. { والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم } ( الشورى آية ٣٨ ) فالبت فى الأمور أساسه التشاور وأخذ رأى الشعب { فبما رحمة الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر } ( آل عمران ١٥٩ ) .

فالدين النصيحة وعلى كل شخص فى الدولة أن يكون ايجابيا يبدى رأيه فى كافة الأمور . وهذا الحق مكفول لكل المسلمين مادام مبنيا على أسس سليمة تنتجه وتؤدى إليه ، ومادام هذا الإنسان يبذل جهده فى الوصول إليه فى إطار من المعرفة بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . ولقد حث الإسلام على مثل هذا البحث والاجتهاد فقال الرسول صلى الله عليه و سلم ( من اجتهد فأصاب فله أجران ومن اجتهد وأخطأ فله أجر ) .

والمسلمون أمام القانون سواء .. لا فرق بين دين ودين ولا بين شريف ووضيع وغنى وفقير قال تعالى : { يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما .. فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا } ( سورة النساء آية ١٣٥ ) يأمر الله سبحانه وتعالى المسلمين بإقامة العدل بين الناس جميعا كما يأمرهم أن يؤدوا الشهادة بصدق وأمانة وإخلاص لوجه الله تعالى كما ينهاهم أن يجعلوا أساس حكمهم بين الناس هو الهوى .. لأن اتباع الهوى يضيع الحقوق ويفرق شمل الأمة .

ويقول تعالى { فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله } ( سورة ص آية ٢٦ ) ويحض الإسلام على أن يبتعد المسلمون عن المؤثرات النفسية فى الحكم .. هذه المؤثرات التى تعوق سير العدالة وتعترض سبيل الحق وتزين الباطل .. قال عزوجل :{ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون } ( سورة المائدة آية ٨ ) .

ولم يفرق الإسلام بين الناس ..{ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم } ( الحجرات آية ١٣) . ثم لهم بعد ذلك حرية العمل والتعليم وحرية التعامل وعليهم حق الطاعة { يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شئ

فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ) ( سورة النساء آية ٥٩ ) .

بهذه المبادئ التى جاء بها القرآن الكريم أرسى الرسول صلى الله عليه وسلم أسس الحكم فى الدولة الإسلامية وأقامها على أساس الحرية والعدل والمساواة بين البشر جميعا فى الحقوق والواجبات .

وعلى أية حال فالحكم فى الإسلام جزء لا يتجزأ من نظمه فالسياسة جزء متمم لبقية الأجزاء فى الإسلام والحكومة فيه كالصلاة.. فكما أنه لا يجوز للمسلمين أن يمضى عليهم يوم بغير إمام يجمعهم ويلم شعثهم فالسياسة لا تنفصل عن الدين والدين لا يصلح بغيرسياسة.

## الحكومة فى عهد الخلفاء الراشدين :-

سارت دولة الخلافة الراشدة على نفس المبادئ التى جاء بها القرآن واجتهدوا فى تنفيذها ' وكان الخليفة هو الرئيس الأعلى ويساعده فى الحكم مجلس من الشيوخ يتألف من كبار الصحابة الذين كانوا يعقدون اجتماعاتهم فى المسجد الكبير ويساعدهم فى الغالب أشراف المدينة وشيوخ البدو الموجودون فيها .

والخلافة نظام مستحدث حتمته الظروف بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم دون أن يعين للمسلمين خليفة لهم أو ينص على الخلافة لأحد من الناس . وكأنما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يترك الأمر شورى للمسلمين ليختاروا من يصلح لها بينهم جريا على عادة النظام القبلى الذى ألفه العرب . خاصة وأنه لم يخلف ولدا ذكرا يستخلفه من بعده "(١٠) .

والخلافة نيابة عن صاحب الشرع( النبى صلى الله عليه وسلم) فى حفظ الدين وسياسة الدنيا بمعنى أن الخليفة لا يعدو أن يكون رئيسا دينيا وسياسيا نيابة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام . ويجمع بين سلطتين : دينية ، باعتباره إماما للمسلمين يؤمهم للصلاة ويسهر على تطبيق العدالة والانصاف ويحمى الدين ويذب

عنه من خطر الخارجين عليه .. ودنيوية ، لأنه ينظر فى مصالح المسلمين الدنيوية وهو على حد قول ابن خلدون " حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعى فى مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها . إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشرع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة فهى فى الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع فى حراسة الدين وسياسة الدنيا به "(١١) .

" وكان الخليفة ينتخب باجماع أهل المدينة .. وكان العرب فى الخارج يقبلون هذا الانتخاب ولا يعترضون عليه وكانت مراسم البيعة تتم فى المسجد الجامع حيث كان المسلمون يجتمعون ليبايعوا الخليفة "(١٢) . وهذه الطريقة مبنية على الانتخاب الحر أو الاختيار وأسماها العرب تسمية معبرة .. وهى " البيعة "وفى هذا المعنى يقول ابن خلدون " وكانوا إذا بايعوا الأمير وعقدوا عهده جعلوا أيديهم فى يده تأكيدا للعهد فأشبه ذلك فعل البائع والمشترى فسمى بيعة مصدر باع وصارت البيعة مصافحة بالأيدى "(١٣) .

## الأمويون ونظام الحكم :-

لم تنته مشكلة الخلافة أو الإمامة باعتلاء معاوية للخلافة ولم ينته المسلمون الى حل ثابت دائم لها .. وإنما ظل الصراع سجالا بين المبادئ الأساسية التى حددت التصورات المقترحة لحل هذه المشكلة .. وتمثلت المبادئ الأساسية لمشكلة الحكم كما أوجزها " الدورى " فى كتابه مقدمة فى تاريخ صدر الإسلام على النحو الآتى:-

١.ـ المبدأ القبلى :-

الذى يعترف بالسيادة فى فخذ أو عائلة ولكنه لا يقبل الوراثة ويراعى مسألة السن والحنكة والنفوذ والكرم ويؤكد أن تكون الرئاسة لأقدر أفراد القبيلة أو البيت بدون ضرورة لتوريثها للابن . وقد أثر هذا الاتجاه خلال العصر الأموى فكان سببا فى اختيار مروان بن الحكم ومجئ مروان بن محمد خاصة فالأول لم يكن سفيانيا والثانى مروانيا ولكنه لم يكن من الفرع الحاكم فهو لم يكن من أولاد عبد الملك بل ابن أخيه محمد .

٢ـ المبدأ الإسلامى :-

وهو ينسب السلطة لله وليس لفرد أن يتصرف بها حسب ارادته. بدأ المبدأ بالاستناد إلى فكرة الانتخاب من قبل الأمة وهذه تمثل باجماعها المشيئة الإلهية . ولكنه انتخاب محصور عمليا فى قريش ومحدود بصورة عامة بالمدينة . ولقد ظهر لدى البعض ( الخوارج) فى الانتخاب المطلق الذى يعتبر كل عربى ( وبعد فترة كل مسلم ) قابلا للانتخاب إذا توافرت لديه الصفات اللازمة . وتطور لدى آخرين (الشيعة ) الى فكرة تعارض الانتخاب ولا ترى إمكانه . وتقول بوجود عائلة مختارة ( آل البيت ) طهرها الله من الرجس وخصها بالولاية فالخلافة بالنص والتعيين .

٣ـ مبدأ الوراثة :-

الذى أدخله معاوية بن أبى سفيان وبموجبه جاء يزيد الأول ومعاوية الثانى وأكثر الخلفاء الأمويين (١٤) .

وقد ظلت شروط الخلافة سارية فى عهد الخلفاء الراشدين ولم يراع مبدأ الوراثة فى مبايعة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، ثم تحول نظام الخلافة منذ قيام الدولة الأموية الى ملك استبدادى قائم على النظام الوراثى . وفرق كبير بين الانتخاب والوراثة ، وهذا ما قاله المؤرخون الاسلاميون القدماء من أن الخلافة بعد على بن أبى طالب تحولت إلى ملك عضوض كالملك الذى شهده الفرس والروم(١٥) .

وقد أخذ الخلفاء منذ عهد معاوية فى تعيين ولاة عهودهم وكان الإشراف ورجال الجيش يحلفون يمين الولاء لهم فى حضرة الخليفة بينما كان الحكام يأخذون البيعة لهم فى الأمصار التى يحكمونها . فحالما تؤخذ البيعة كانت موافقة الشعب بأى طريق كان (١٦) .

وبذلك ثار معاوية على القاعدة التى سنها الخلفاء الراشدون فخرج على نظام الحكم الدينى واستحدث نظام الوراثه فى الحكم(١٧)

وكان هذا النظام ثمرة لرأى معاوية فى الخلافة .. فقد رأى أن الخلافة والسلطان لا يأتيان عن طريق الدين وحده بل يحتاجان إلى القوة وبذل المال وجذب قلوب الناس بالرغبة .. قال معاوية لبنى هاشم " أحق قريش بها من بسط الناس أيديهم إليه بالبيعة عليها ونقلوا أقدامهم إليه للرغبة وطارت إليه أهواءهم للثقة وقاتل عنها بحقها فأدركها من وجهها "(١٨) .

## بين الخلافة الراشدة والخلافة الأموية :-

لبست الخلافة فى عهد الدولة الأموية مظهر الملك وأبهته واستشعرت سطوة الحكم وعظمته .. فبعد أن كان الخلفاء الراشدون للناس كافة لا يمنعهم دون الخليفة حجاب ولا يصدهم عنه باب ، وجدنا فى العهد الأموى الحجاب والمقاصير فى المساجد الجامعة . وبعد أن كان عمر بن الخطاب يقول على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم " من رأى منكم فى إعوجاجا فليقومه " قال الملك بن مروان فى خطبته بعد قتل ابن الزبير " لا يأمرنى أحد بتقوى الله بعد مقامى هذا إلا ضربت عنقه " . وبعد أن كان الخليفة يختلط بالناس كأحدهم فى الأسواق والمجامع يأمر وينهى ويربى ويؤدب ، رأينا الوليد بن عبد الملك تصرف له الناس من المسجد النبوى حينما أراد مشاهدته وأثر الصناعة فيه . وكادوا يصرفون سعيد بن المسيب شيخ الفقهاء بالمدينة لولا جلال سنه واحترام الأمير عمر بن عبد العزيز له وبعد أن لم يكن للخليفة شارة يمتاز بها سمعنا الرويات عن قطيب الخلافة وخاتمها .. وبعد أن كان الخلفاء بعيدين عن مظاهر الترف يجتزئ أحدهم بأقل ما يجتزى به الضعفاء من رعيتهم ويتمنى بعد ذلك أن يخرج من الدنيا كفافا لا له ولا عليه ، صرنا نرى بنى مروان وقد انغمسوا فى الترف فاختيرت لهم الألوان وتبسطوا بما لذ وطاب فسمعوا الأغانى من القيان .. كما يروى عن يزيد بن عبد الملك وابنه الوليد بن يزيد .. وبعد أن كانت الخلفاء تختار من بيوت متعددة رأينا الخلافة فى هذه الدولة قد انحصرت فى بيت واحد يختار كل خليفة ولى عهده من أهل بيته.. إما أبنه أو أخاه أو أبن عمه شأنه شأن الملك العظيم .. وبعد أن كانت الأمة تساس بقوة البطش وحد السيف . حتى كان عبد الملك يقول للناس تطلبون منا أن نسير فيكم بسيرة الشيخين أبى بكر وعمر .. وكأنه

يعتذر لهم عن قسوته فى معاملتهم بأنهم هم الذين حملوه على ذلك بما ظهر فيهم من بدع الأخلاق (١٩) .

لذلك لا ندهش كما يقول اليعقوبى إذا كره المسلمون بنى أمية وغطرستهم وكبرياتهم وإثارتهم الأحقاد القديمة وترويجهم للروح الجاهلية ولا سيما أن جمهور المسلمين كانوا يرون الأمويين رجالا كثيرين لم يعتنقوا الإسلام إلا سعيا وراء مصالحهم الشخصية . ولا غرو فقد كان معاوية يرمى إلى جعل الخلافة ملكا كسرويا وليس أدل على ذلك من قوله : " أنا أول الملوك "(٢٠) .

## خصائص الحكم الأموى وموقع الدعاية منه :-

وعلى ضوء الملامح السابقة نستطيع أن نحدد خصائص الحكم الأموى فى النقاط الآتية :-

١. كانت الكلمة الأولى للدولة فى نظام الحكم الأموى وبعبارة أدق لمصلحة البيت الحاكم ثم للإسلام ، ويتمركز حول تلك المصلحة . وهذه نقطة هامة تحمل فى طياتها خلق أحقاد شخصية عند الناس ـــ أو بعضهم على الأقل ـ للبيت الحاكم .

٢. الخليفة الأموى هو ظل الله فى الأرض ولا توجد رقابة عليه وعلى أعماله وليس للشعب أن يبدى رأيه فيه أو أن يخالفه فى أوامره ، إن الحاكم الأموى يقيم شعائر الدين وقد أقامها فى أغلب الأحيان ويسير مع الإسلام ويحاسب نفسه فيه لكن إن خرج عليه فى حكم فليس لأحد أن يحاسبه إلا الله وليس للشعب أن يحاسب الخليفة أو آل الخليفة .

٣. الخليفة هو السلطان الأوحد ومن حوله حاشيته من بنى أمية يرقون أعلى من غيرهم ويحق لهم ما لا يحق لغيرهم ثم يأتى العرب من أهل الشام ولهم من الحقوق ما يعلو غيرهم من العرب الآخرين وحظهم من الغنائم أكبر من حصص غيرهم ثم يأتى الموالى فى آخر السلم الاجتماعى .

٤. الطابع العام للحكم الأموى هو طابع القوة السياسية :- وتعنى القوة هنا قدرة أشخاص أو جماعات على فرض إرادتهم على الآخرين على الرغم من المقاومة لوسائل الردع سواء كانت ممثلة فى مكافأة أو عقاب . وقد ظهر هذا الطابع للقوة منذ اللحظة الأولى من الطريقة التى تمكن بها معاوية من الوصول إلى الحكم .. فقد حصل عليه بالسيف والمكيدة والدعاية وبذل الأموال وظل هذا الطابع للأمويين يزيد ويضعف وفقا لطبيعة الخلفاء .

ويمكننا تصنيف الأشكال التى اتخذتها القوة السياسية للعصر الأموى على النحو الآتى :-

١. القوة الفيزيقية :-

ووسيلتها السجن أو القتل للمعارضين والمناوئين ، والحرب إن استفحل الصراع وزاد وامتشق الخارجون السلاح .

٢.ـ الثواب والعقاب :-

بهدف الإقناع والإغراء والتأثير ويتمثل هذا فى بذل الأموال ومنح الوظائف والحرمان منها .

٣.ـ التأثير فى الرأى العام أو الدعاية بمعناها الواسع .

وبخصوص الشكلين الأولين للقوة فسوف نتعرض لمناقشتهما بالتفصيل عند تعرضنا لأساليب الدعاية فى العصر الأموى .

أما بالنسبة للدعاية السياسية كوسيلة للتأثير على الرأى العام وباعتبارها أحد محددات القوة للعصر الأموى فقد اعتمدت فلسفتها على نظريتين :-

الأولى :- نظرية التحليل النفسى :-

ويعتبر السلوك الصادر عن الأفراد فى ضوئها امتداد لمجموعة من العقد النفسية ومشاعر النقص التى ترتبط بالنشأة الأولى وبمرحلة الطفولة المبكرة للأفراد مما يجعل الفرد أكثر تقبلا لعملية التلاعب والتأثير وأكثر قابلية للإيحاء (٢٠).

النظرية الثانية : نظرية التثقيف والتدعيم :-

والدعاية على ضوء هذه النظرية عبارة عن تثقيف وتقوية لمواقف معينة وبمعنى آخر يصبح العمل الدعائى ممزوجا بعمليتى التوعية والتثقيف .. ولذلك تختلط الدعاية بالإعلام وتدور فى فلك السياسية الثقافية وتصبح المؤسسات الثقافية بؤرا يتبلور حولها النشاط الدعائى ويتركز حول طائفة معينة هى النخبة أو الصفوة المتعلمة .

وحينما نستخلص التطبيقات الخاصة بالدعاية السياسية من وقائع وأحداث العصر الأموى نجد أصداء لهاتين النظريتين تتمثل فيما يأتى:-

١. استغلال الأمويين للكوامن النفسية لصرف الناس عن التفكير فى السياسة وكانت سياسيتهم فى بيئة الحجاز لصرف أبناء المهاجرين والأنصار عن المطالبة بالخلافة وذلك بإغداق الأموال والجوارى والرقيق وتهيئة جو السعادة والمرح بالغناء والموسيقى .

٢. إحياء الكوامن النفسية الخاصة بالعصبية والتعصب لدى العرب والتى قضى عليها الإسلام .. ولم يتركوا بابا لإحياء هذه العصبية وإيجاد بذور الفرقة والاختلاف إلا ولجوه حتى انتهت بهم العصبية التى أشعلوها إلى القضاء عليهم .

وكما استفادت الدعاية الأموية من الكوامن النفسية استفادت أيضا دعاية الأحزاب المعارضة .

فعبد الله بن الزبير يستثير الجانب النفسى فى دعايته لنفسه ويستغل سخط جمهور المسلمين على بنى أمية لأنهم قتلوا الحسين بن على وآل بيته ولأنهم استباحوا مكة والمدينة وخرجوا على نظام الحكم الإسلامى فبدلوه من شورى إلى ملكية .. كما استفاد من سخط الحجازيين لانتقال الحكومة إلى الشام ومن رغبة القرشيين فى إبقاء الحكم فى قريش وتسندها فى ذلك مضر معارضة للأمويين الذى استأثروا بالملك وحدهم واستعانوا باليمنية . وكان هذا الأساس النفسى هو المنطق لحزب الزبيريين فى دعايتهم لأنفسهم ومطالبتهم بالخلافة .

كما لايخفى أيضا الأساس النفسى الذى اعتمد عليه الشيعة العباسيين فى اجتذاب الأنصار وفى مواجهة دعاية الأمويين . فبالنسبة للعباسيين مثلا اعتمدوا على روح السخط والكراهية فى نشر دعوتهم فى خرسان، ولذلك كان دعاتهم يحرصون على إذكاء هذه الروح بما يبثونه من أخبار سيئة عنهم كما استفادوا من العصبية أيضا لدعوتهم .. فقد عرف أبو مسلم قائد الثورة العباسية بما أوتيه من الحذق والمهارة كيف يستفيد من ذلك الإنقسام الذى ساد فى بلاد خرسان فبذر بذور الشقاق بين جنود بنى أمية . كما استفاد من روح اليأس والقنوط السائدة بين أبناء هذه المناطق بدعوته إلى المساواة والعدل والرضا من آل البيت ذلك المهدى الذى سيملأ الأرض عدلا .

والأمثلة خلال العصر الأموى كثيرة تؤكد الأساس النفسى الذى ارتكنت عليه الفلسفة الدعائية لهذا العصر .

أما الأساس الثانى فهو التثقيف والتدعيم ، فقد بلور كل حزب من الأحزاب المتصارعة نفسه فى شكل مدرسة فكرية ذات أبعاد سياسية وإعلامية - وقد أوضحنا الجانب الخاص بالنظرية السياسية لكل حزب من أحزاب ذلك العصر فى الباب الأول من هذه الدراسة - وأصبحت هناك مدارس علمية وعلماء يعلمون هذه الأصول الفكرية مختلطة بالعلوم الدينية والثقافية . وتأكدت بذلك عاطفة الولاء للاتباع . واختلطت الدعوة بالدعاية وارتبط الإيمان بالفكر السياسى وتعمقت جذوره .. واقتتل المتقاتلون حوله . كل حزب يرى أنه على الحق وما

سواه على الباطل .. وأصبح الصراع بالسيف سمة بارزة لأحزاب ذلك العصر .. وحينما يصمت السيف تتقاتل الكلمات ، ويمتد الجدال ويأخذ الصراع سمة أخرى عقلية وثقافية . يذكيها العلماء والمفكرون بما يقدمون من أفكار وما يقتبسون من معلومات ومعارف من الأمم السابقة

الدعاية السياسية وجوهر النظرية الإعلامية للعصر الأموى:-

ذهب الدكتور عبد اللطيف حمزة (٢١) إلى أن النظرية الإعلامية السائدة على عهد الأمويين هى نظرية السلطة فالخليفة هو المتصرف فى كل أمور الدولة أو الرعية وهو وحده صاحب الحق فى هذه الهيمنة باعتباره خليفة الله فى الأرض . وهناك الصفوة أو الحكماء أو العلماء أو ما اصطلح على تسميتهم فى ذلك الوقت بأهل الحل والعقد يرجع إليهم الخليفة فيما أشكل عليه من أمور المسلمين

وهكذا أقتصر العمل الإعلامى فى رأية على جهتين :-

- جهة الحاكم الفرد أو الملك المستبد .
- جهة الصفوة من رجال الأمة وهم بطبيعة الحال قليلون من حيث العدد ورأيهم ملزما للحاكم نفسه .

وإن صح هذا الكلام بالنسبة للعهود الإسلامية بصفة عامة إلا أنه ليس صحيحا كل الصحة بالنسبة للعهد الأموى . فقد اصطبغ جو السلطة الذى ساد العصر الأموى بعبيق الحرية المنعش وإلا لما ازدهرت الأحزاب الساسية والمعارضة الساسية فى ذلك الوقت .

قد لا يكون الفضل فى هذه الحرية راجع إلى الأمويين بقدر ما هو عائد الى طبيعة التكوين النفسى للعرب التى أدركها الأمويون وإلى روح التربية الإسلامية للمسلمين القائمة على أساس الحرية الساسية للمسلمين ، الأمر الذى أوجد منهم من يقفون فى وجه الخلفاء مهما كان عسف بعضهم وتعقبهم للثوار والداعين إلى الثورة . وكان هؤلاء إما ثائرون مجاهرون.. فهم لا يرهبون جريرة المقال .. لأن الذى يشهر سيفه لا يتردد فى أن يشهر لسانه وإما مؤيدون لأحزاب ينتمون إليها وهم فى مأمن من أن تنالهم بسوء أيدى الحكام

وكان الأمويين من ناحيتهم يعلمون ما يموج فى نفوس هؤلاء من سخط ويعلمون مدى كراهيتهم لهم .. لكنهم كانوا يحلمون عليهم ليطفئوا ما بهم من موجدة . ويعتبر معاوية مؤسس الدولة الأموية هو نفسه مؤسس هذه النظرية والتى عبر عنها فى قوله : " أنا لا أضع سيفى حيث يكفينى سوطى ولا أضع سوطى حيث يكفينى لسانى . ولو أن بينى وبين الناس شعرة ما أنقطعت كنت إذا شدوها أرخيتها وإذا أرخوها شددتها "(٢٢) .

روى السيوطى كان الرجل يقول لمعاوية : والله لتستقيمن بنا يا معاوية أو لنقومنك . فيقول بماذا ؟ . فيقول بالخشب . فيقول : إذن نستقيم .

وأخرج عن الفضل بن سويد قال وفد جارية بن قدامة على معاوية.. فقال له معاوية : أنت الساعى مع على بن أبى طالب والموقد النار فى شعلك تجوس قرى عربية تسفك دماؤهم ؟ قال جارية : يا معاوية دع عنك عليا فما أبغضنا عليا منذ أحببناه .. ولا غششناه منذ صحبناه .. قال .. ويحك يا جاريه .. قال أنت يا معاوية كنت أهون على أهلك إذ سموك معاوية .. قال : لا أم لك .. قال : أم ما ولدتنى ، إن قوائم السيوف التى لقيناك بها بصفين فى أيدينا .. قال : إنك لتهددنى قال : انك لم تملكنا قسرة ولم تفتحنا عنوة ولكن أعطينا عهودا ومواثيق .. فإن وفيت لنا وفينا .. وإن ترغب فى غير ذلك فقد تركنا وراءنا رجالا مدادا وأذرعا شدادا وأسنة حدادا . فإن بسطت إلينا فترا من غدر زلقنا إليك بباع من ختر .. قال معاوية : لا أكثر الله فى الناس أمثالك (٢٣) .

ولم يخرج أحد من بنى أمية عن هذه السياسة باستثناء مروان بن محمد آخر بنى أمية الذى اعتمد على السيف فقط وكان فى ذلك نهايته ونهاية الدولة الأموية .

ولعل ما يوضح هذه السياسة أيضا خطبة عبد الملك بن مروان فى المدينة بعد القضاء على ابن الزبير واستتباب الملك له .

عن ابن جريج عن أبيه قال : خطبنا عبد الملك بن مروان بالمدينة بعد قتل الشريد عام حج سنة خمس وسبعين فقال بعد حمد

الله والثناء عليه : أما بعد .. فلست بالخليفة المستضعف ـ يعنى عثمان ـ ولا الخليفة المداهن ـ يعنى معاوية ـ ولا الخليفة المأفون يعنى يزيد ـ ألا وإن من كان قبلى من الخلفاء كانوا يأكلون ويطعمون من هذه الأموال. ألا وإنى لا أداوى أدواء هذه الأمة إلا بالسيف حتى تستقيم لى قناتكم .. تكلفوننا أعمال المهاجرين ولا تعملون مثل أعمالهم ؟ .. فلن تزدادوا إلا عقوبة حتى يحكم السيف بيننا وبينكم .. هذا عمرو بن سعيد قرابته قرابته وموضعه موضعه .. قال برأسه هكذا فقلنا بأسيافنا هكذا ، ألا وإنا نحمل لكم كل شئ إلا وثوبا على أمير أو نصب راية .. ألا وإن الجامعة التى جعلتها فى عنق عمرو بن سعيد عندى .. والله ما يفعل أحد فعله إلا جعلته فى عنقه والله لا يأمرنى أحد بتقوى الله بعد مقامى هذا إلا ضربت عنقه (٢٤) .

فالهدف الأساسى للأمويين إذن هو المحافظة على الحكم من أى خروج عليه بالسلاح وثوبا على أمير أو نصب راية . أما الدعاية السياسية بالكلام والخطب والأشعار بمختلف الوسائل القولية .. فلا غبار عليه فى نظر الأمويين ولهذا سمحوا لأحزاب المعارضة بنقدهم وبث أفكارهم ، وإن كانوا من ناحية أخرى يقاومون ذلك بأساليب أخرى كالتهديد والإغراء والعنف عندما يتزايد خطر هذه الدعاية .

وعلى ذلك فإن النظرية الإعلامية للأمويين لم تكن نظرية السلطة كما رجح ذلك الدكتور عبد اللطيف حمزة ولكنها مزيج من نظريتى السلطة والحرية .. حددت مقداره الظروف السياسية السائدة وأوجبته الطبيعة النفسية للمسلمين فى ذلك العصر .. والفهم الحقيقى للحرية السياسية كما جاء بها الإسلام .

وفى هذا المناخ عاشت الدعاية السياسية وترعرعت ونشطت الأحزاب السياسية وازدهرت ودعمت نشاطها السياسى ونشاطها الفكرى بصورة جعلت لهذه الفترة بصماتها على الفكر الإسلامى بصفة عامة والتراث الإسلامى الذى خلفته بصورة خاصة وكانت الأساس المتين للحضارة العربية الزاهرة فى العصور التالية لها .